طور الإبداع – في الرواية السودانية

منتصر نابلسى عبد المجيد و حمد النيل محمد الحسن

[1].جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا – كلية الغات

[2].جامعة الخرطوم كلية الآداب – قسم اللغة العربية

المستخلص:

الطور الإبداعي وليد مرحلة من عمر الرواية السودانية، لها متغيراتها التي دفعت إلى ظهور اتجاهات تطمح إلى معايير روائية أكثر تميزا، وأوسع أفقاً، وأعمق ثقافة ،ومن هنا كان هذا الطور والذي ظل استثنائيا تماما وقد بلغت بعض روايات هذه المرحلة مصاف العالمية وبقفزات جديدة غير مسبوقة تخطت كل التوقعات العربية والعالمية ولفتت الانتباه إلى بروز النصوص المميزة للرواية السودانية بنكهة مختلفة تحمل في سماتها الروح الأفريقية والأسيوية.

الكلمات المفتاحية: الرواية ، مميزة ،الطور الإبداعي

ABSTRACT:

The creative phase is beginning stage of the Sudanese novel, it has its momentum and variables that led to the emergence of trends aspiring to novel criteria, more distinctive, broader horizon, deeper culture, and the highest goals. And from here it was this phase, which remained quite exceptional. Some of the novels of this stage have reached the ranks of globalism and new unprecedented leaps exceeded all Arab and global expectations, and it drew attention to the emergence of the distinctive texts of the Sudanese novel with a different taste bearing the characteristics of the African and Asian spirit.

Keywords: Novel, Characteristic, Creative Phase

المقدمة

الطيب صالح وإبراهيم اسحق إبراهيم، لعبا دورهما في طور الإبداع الروائي السوداني في هذه المرحلة من عمر الرواية ،واستحقا التميز بما قدماه من أعمال خالدة نالت الإعجاب داخل وخارج السودان ، فما وصلت إليه الرواية في هذا الطور من سمات وبنية وتماسك في النص ورؤيا وأهداف جعلت منهما معيارا مميزا.

الطيب صالح وموسم الهجرة إلى الشمال

رواية موسم الهجرة إلى الشمال ظلت قيمة إبداعية على كافة المساحات الثقافية العربية والعالمية ، ورغم مرور سنوات طويلة منذ أن رأت النور لكنها لا تزال جديدة ومتجددة ، فيكفي إنها تمنحنا معاني ولوحات مدهشة .

الطيب صالح روائي يعرف كيف يقود البدايات، ومن ثم لا يترك للقارئ مجالا للهروب من النص ، جاذبيته ليست مجرد سياق متسلسل فقط ، ولكنه تميز بحصافة الأديب المتمكن الواثق والمستنير فهو يدرك أهدافه البعيدة تارك للقارئ مساحات من الخيال ولاغرو في ذلك ، وهو يمتلك الثقافة العميقة ومفاتيح متعددة وإلمام بشتى القضايا ، فهو أحياناً يكمل لك الصور تارة وتارات أخرى يستفز الخيال تاركا لك مساحات غنية من الترقب والاحتمالات.

دارت أحداث الرواية في زمن أطلت الدول الأفريقية برأسها لأفاق جديدة، مستنشقة عبير الاستقلال هاربة من قيود الاستعمار– الكولونيالية– ترنوا إلى آفاق جديدة مستبشرة بمستقبل مفعم بالأمل، تسعى إلى التخلص من أثاره فكانت بمثابة هجرة إلى أحلام وارهاصات تنبت فيها أمال مخضرة بالحرية وارفة بالتجديد والتطور.

موسم الهجرة إلى الشمال وخلال رواية سودانية الأصل والمنشأ إذا صح التعبير، يرسم الطيب صالح لوحاته الرائعة وأنت تبحر في سفن الوصف والرسم الموشى بقناديل من نور، وهو يسترسل بدون غلو يصف الطبيعة وهو ممتلئ بروح الانتماء إلى كل ذرة من تراب هذا الوطن ،حتى ليكاد يجسدها إمام ناظريك تنبض بالحياة كأنها كائن حي، حتى الريح ووشوشتها حين يقول في (صالح ، 1966م، ص 6):

"وأرخيت إذني للريح ، ذاك لعمري صوت أعرفه ، له في بلدنا وشوشة مرحة ، صوت الريح وهى تمر بحقول القمح وسمعت هديل القمري، ونظرت خلال النافذة إلى النخلة القائمة في فناء دارنا ، فعلمت أن الحياة لا تزال بخير،أنظر إلى جذعها القوي المعتدل، وإلى عروقها الضاربة في الأرض، وإلى الجريد الأخضر المنهدل فوق هامتها فأحس بالطمأنينة. أحس بأنني لست ريشة في مهب الريح، ولكني مثل تلك النخلة مخلوق له أصل، وله جذور، وله هدف".

ولا تقف لوحات الوصف حول الطبيعة، بل يتمدد ليدهشك وهو يجوب بين الشخوص بكل حرية وأريحية ، يتحكم فيها بحكمة وتمكن ويديرها بقيادية وتوازن متميز.

إن المشهد الاجتماعي في موسم الهجرة إلى الشمال يمثل حضورا طاغيا لرقى هذه الرواية المدهشة الغارقة في عشق الأرض والعشيرة، بل يتشكل في تفاصيلها الوجدان النابض بالحياة في الذاكرة الزمانية والمكانية في آن واحد يقول في(صالح ، 1966م، ص 6).

"وجاءت أمي تحمل الشاي ، وفرغ أبى من صلاته وأوراده فجاء . وجاءت أختي وجاء أخواي ، وجلسنا نشرب الشاي ونتحدث، شأننا منذ أن تفتحت عيناي على الحياة " وصف مختصر تشتم فيه عبق الحياة والمعاني السامية في القرية، ونفوسهم الغنية بحبهم لبعضهم البعض.

رغم إن شخصية مصطفى سعيد كانت المحور في هذه الرواية ،إلا أن الطيب صالح بذكائه وفطنته كان يجيد تحريك الشخوص ومن ثم يعود من جديد ويبعثر حول هذه الشخصية علامات استفهامه ليترك القارئ في حيرة وتساءل وترقب، بيد أنه لا يتركه يفلت بعيدا فيبادره بأن هناك أبعاد ومسافات تستحق أن ترافق قلمه، يستصحبك معه إليه وأنت في حالة دهشة مستمرة يقول في (صالح ، 1966م، ص 10):-

"أنني أريد أن أخذ حقي من الحياة بعنوة ، أريد أن أعطى بسخاء أريد أن يفيض الحب من قلبي فينبع ويثمر.ثمة آفاق كثيرة يجب أن تزار ، ثمة ثمار يجب أن تقطف ، كتب كثيرة تقرأ ، وصفحات بيضاء في سجل العمر ، سأكتب فيها جملا واضحة بخط جرئ"

ولكأنني أنظر إلى ذلك الرجل القامة الطيب صالح يرحمه الله ، وهو يحقق أحلامه السامية ويصل بثقافته الاستثنائية وفكره العميق إلى تلك الآفاق البعيدة، التي سطر فيها اسمه بمداد من نور وسيبقى وسيظل مشرقا بما قدم فهناك في سماء الفن والجمال أرى أشجار عطاءه وارفة الظلال خضراء، ونحن نستظل بها اليوم وستبقى حروفه يانعة ندية غضة مثمرة تستلهم الأجيال القادمة معاني متجددة من إبداعاته الخالدة.

الطيب صالح بما يمتلك من موهبة فذة يستطيع أن ينقلك عبر الذاكرة الزمانية كيف شاء ومتى شاء ويترك لك الخيال والخيار في تقليب الصفحات ،فأنت تظل بين إرهاصات مستقبل وتاريخ يستخلصه عبر شخوصه التي

يتقن تحريكها في المكان والزمان بكل توازن وحنكة ، ثم ما يلبث يعيدك مرة أخرى بعبقرية إلى شخصية مصطفى سعيد وهنا تكمن مقدرته الإبداعية أيضاً ، فالجد كان يمثل الماضي العفوي والحياة البسيطة التي لا تحمل هموم المستقبل، فقد كان الجد يمثل الجذور والأصل والعمق الإنساني الذي يعتز به صوت السارد (صالح ، 1966م، ص11) "كان جدي يحدثني عن حاكم غاشم ، حكم الإقليم أيام الأتراك. ولست أعلم ما الذي دفع بمصطفى سعيد إلى ذهني، لكنى تذكرته بغتة ، فقلت أسال عنه جدي، فهو عليم بحسب كل أحد في البلد ونسبه".

تمكن الطيب صالح جذب القارئ بتواتر مستمر بل جعل المتابع لصيقا بصوت السارد ، يكاد لا يترك لك مساحة من التعايش بعيدا عن مجريات الأحداث ولا تمضى معه إلا وتشعر بنهم جارف لإشباع حب الاستطلاع والوصول إلى ما وراء ذلك، ولكنه يبقى مساحة بين كل سؤال وعلامة استفهام كأن هناك حبلا مشدودا يبقيه عن قصد بين صوت السارد ووجدان القارئ ليشرأب الأخير إلى ما وراء النهايات بشغف يبتكره لك بهدوء وبراعة مدهشة يقول في (صالح ، 1966م، ص23):

"أنا واثق أن وراء مصطفى قصة أو شيئا لا يود البوح به،هل خانتني أذناي ليلة البارحة؟"

فمن الملاحظ أن علامة الاستفهام في موسم الهجرة إلى الشمال تسوق المتابع بين غموض ورهبة وتوجس، يتمدد مع مجريات الأحداث ولا يأتي فقط عرضا ولكن يزيد كلما تعمق بك الطيب صالح في الصراع ليتصاعد الانفعال الدلالي بدون انفلات ولا تفريط، فالسؤال مشروع ومنطقي ولكنه عميق المغذى" لعل الرجل قتل أحدا في مكان ما وفر من السجن؟" ولكن أية أسرار في هذا البلد ؟ لعله فقد ذاكرته ؟ يقال إن بعض الناس يصابون "بالأمنيزيا" إثر حادث". والطيب صالح بين هذا وذاك يمنحك معلومة ثرية يستلهم من المواقف مستجدات أخر ويكاد لا يترك فراغا في البنية السردية تفر إليها كقارئ وإنما يخلق واقعا متجددا يملأه بالصراع.

اختار الطيب صالح شخصياته بكل عناية وتركيز فمثلا مصطفى سعيد الذي أبحر وتعمق في الثقافة الانجليزية ولكن رغم هذا التقارب من تلك الثقافات لم ينصهر، ولم يتمكن من الذوبان وظلت ذاكرته تجره إلى جذوره واصله الأفريقي، وبلاده التي جثم على صدرها الاستعمار يمارس سطوته واغتصاب حقوق أهلها ردحا من الزمان صاحبت هذه الصورة بل ورسخت في وجدان مصطفي سعيد فكان علاقته مع الغرب مشروخة.

العلاقة بين صوت السارد وشخصية مصطفى سعيد في موسم الهجرة إلى الشمال ، هل وجد مصطفى سعيد في شخصية السارد ما يعيد له بعض من أحلامه فلهذا تقرب منه رغم أن معرفته له لم تتجاوز أيام معدودة أم هل تغرب الأول إلى انجلترا أشعره بالغبطة أم أحيا فيه أشجانه القديمة المكبوتة في صدره هو ما دفعه إلى الإفضاء له بأسراره التي حبسها لأنه لم يجد من يستطيع أن يتفهمها أم انه نظر إلى آهل البلد بأنهم دون مستوى ثقافته مثل شخصية محجوب فلم يشاء أن يفتح لهم أبواب أسراره المكبوتة يقول على لسان مصطفى سعيد (صالح ، 1966م، ص24) :

" سأقول لك كلاما لم أقله لأحد من قبل . لم أجد سببا لذلك قبل الآن . قررت هذا حتى لا يجمح خيالك ، وأنت درست الشعر "

وقد حاول مصطفى سعيد أن يبرر ذلك رغم عدم اقتناع صوت السارد بذلك، يقول الكاتب، (صالح ، 1966م، ص 25):"خفت أن تذهب وتتحدث إلى الآخرين، تقول لهم إنني لست الرجل الذي أزعم فيحدث ...يحدث بعض

الحرج لي ولهم ، لذا فإن لي عندك رجاء واحدا أن تعدني بشرفك ، أن تقسم لي بأنك لن تبوح لمخلوق بشيء مما سأحدثك به الليلة "

ترك الطيب صالح هذه الشخصية الغامضة لها ما وراء الإفصاح أي أن شخصية مصطفى سعيد تلك الأسطورة التي تثير حولها التساؤل تبقى في قمقمها يكتنفها الغموض ولم يحررها من ذلك الغموض، فقد ترك السارد أموراً مسكوت عنها لم يكشف عنها إمعاناً من السارد أن تبقى هناك أسئلة عالقة يستمد منها روح الصراع، ليظل حيا حاضرا في خيال القارئ فتحول بذلك دون هروبه من حبال الحبكة فيبقى مشرئباً إلى ما وراء ذلك فقد تمكن الطيب صالح وببراعة متعمقة في رسم ظلال الغموض حول شخصية مصطفى سعيد بمنتهى التوازن، ليترك المجال رحبا بموارية الحقيقة عن العيون، يقول على لسان مصطفى سعيد وهو يتحدث عن أمه (صالح ، 1966م، ص 27):

"لم يكن لنا أهل كنا أنا وهى،أهلا بعضنا لبعض ، كانت كأنها شخص غريب جمعتني به الظروف صدفة في الطريق، لعلني كنت مخلوقا غريبا ، أو لعل أمي كانت غريبة، لا أدرى."

وظل الطيب صالح يقود الرواية عبر الغموض الممتع ليزداد القارئ ترقبا ومن ثم يضع علامات الاستفهام ليضفي على البنية التواتر والإثارة والمزيد من الاحتمالات ، وكل ذلك أضاف للنص كثافة وأبعادا متجددة فظلت الرواية مليئة بالحركة غنية بالحياة لا تركن للركود ولا تستكين للخمود ولا حتى ما يدور ما وراء السطور.

يقول على لسان مصطفى سعيد (صالح ، 1966م، ص 28) ولعلك تعجب، أحس إحساساً دافئا بأنني حر، بأنه ليس ثمة مخلوق أب أم، يربطني كالوتد إلى بقعة معينة ومحيط معين"

ورغم كل هذه المتناقضات التي تحوم حول هذه الشخصية، تمكن الطيب صالح إخراج هذا الرجل الأسطورة من هذا القمقم ،أو كأنه لم يترك المجال للفشل أن يكتنف هذه الشخصية الغريبة، بل دفع شخصها نحو التفوق والنجاح الأكاديمي إلى أعلى المستويات .

استطيع أن أجزم أن نظرة الطيب صالح الثاقبة لم تفارقه في اختيار المفردات الدلالية، أو الجمل المبعثرة التي لو أمعنت النظر فيها لوجدتها قد بنيت عن قصد،فقد تمكن الطيب صالح بما يمتلك من موهبة فذة أن يجسد بدقة وتلقائية الوجه العنصري والبغيض للمستعمر ،الذي طالما استل سيف البطش والتنكيل واحسب أن مولد مصطفى سعيد لم يأتي إلا عن قصد وفيه من الدلالة التاريخية الواضحة والتي تحمل في طياتها معنى عظيم الأهمية فالعام الذي ولد فيه مصطفى سعيد 1898 ، يوافق السنة التي شهدت البلاد دخول المستعمر إلى السودان وكانت البدايات المليئة بالظلم والقتل والقهر والاستعباد، ولولا عمق الفكرة التي تظهر في الانتقاء التاريخي للأحداث لم تكن تأتى بمثل هذا التوافق الرائع مع شخصية مصطفى سعيد المشحونة بالكراهية تجاه الغرب ،وذلك يدل على قوة البنية وسلاسة الأحداث، فبين كل تلك المنحنيات التي تدخلك إلى عالم الطيب صالح المدهش الذي يترك خيالك يصطحب معه الاحتمالات ولكن بحنكة مفكر، يحرك الماء بحجر في نقطة ما تبدو ساكنة او صامتة متكلمة بأسرار دفينة يمخر في عباب التاريخ والحقيقة،فهناك دائما واقع ما وراء الفكرة وبين هذه وتلك أهداف يرسمها ويترك لك استلهام المعاني المخبأة بين طيات الكلمات، وخلف السطور، وربما من هنا وجدت نفسية مصطفى سعيد الغارقة في الأحزان المكبوتة بين جدران الغموض، وقد امتلأت أركانها بالكراهية المستبطنة للدخيل وبالتالي جاء تشكيل وجدانه يحمل كل سمات الثورة الكامنة والمتحفزة للانقضاض طلبا

للانتقام والثأر، فقد ترك الاستعمار في نفس مصطفى سعيد مرارة ظل يتجرع غصصها ترجمتها مجريات الأحداث التي فيها أطلت أحاسيسه المكبوتة ، وبغضه المتراكم في قلبه تجاه الاستعمار.

يقول في (صالح ، 1966م، ص 34) "كانت مسز روبنسن تقول لي: أنت يامستر سعيد أنساناً خال من المرح " . صحيح إنني لم أكن أضحك وتضحك مسز روبنسن وتقول لي : ألا تستطيع أن تنسى عقلك أبداً ؟" وهذه الإشارات التي تخللت مخاطبة مسز روبنسن لمصطفى سعيد في القاهرة ، تظهر جانبا غامضا وغاضبا فقد رسخ في نفس مصطفي سعيد ، ولكنه العمق الذي ظل حبيس وجدانه ، وظهر جليا في علاقاته الجنسية المتعددة التي لاتحمل في طياتها إلا الآلية والشهوانية المنطلقة معه بدون حب أو شعور ما، كأنه انتقام غير مخطط أو شخص يمارس الغضب المتجذر ولكن بتعبير مختلف يقول في (صالح ، 1966م، ص 39) على لسان مصطفى سعيد" عرفت حانات تشلسي وأندية هامستد ومنتديات بلو مزبرى، أقرا الشعر وأتحدث في الدين والفلسفة ، وأنقد الرسم، وأقول كلاما عن روحانيات الشرق ، أفعل كل شيء حتى أدخل المرأة في فراشي . وأسير إلى صيد آخر، لم يكن في نفسي قطرة من المرح ، كما قالت مسز روبنسن".

وكان الأغرب من ذلك إن مصطفى سعيد لم يحاول أن يدافع عن نفسه أمام المحكمة التي اتهمته بقتل زوجته جين مورس ، فهل أراد فعلا أن ينتقم من نفسه أم أراد يجعل قتله لها تحديا لإحساسه الغامض والغاضب اتجاه المجتمع الغربي، فأذعن واستسلم لتلك المشاعر وانجرف نحو المجهول يقول في (صالح، 1966م، ص 42):

"هل تسببت في انتحار آن همند؟"

"لا أدرى"

وشيلا غيرنود"

" لا أدرى"

"وايزابيلا سيمور؟"

"لا أدرى"

"هل قتلت جين مورس؟"

"نعم"

"قتلتها عمدا"

"نعم"

هذا المصطفى سعيد لا وجود له . انه أكذوبة. وأنني أطلب منكم أن تحكموا بقتل الأكذوبة"وعلق ماكسويل فستر كين " مصطفى سعيد يا حضرات المحلفين إنسان نبيل، استوعب حضارة الغرب ، ولكنها حطمت قلبه"لقد تمكن الطيب صالح أن يحلق بعيدا وهو يسبر أغوار ذات مدلول مشحون بالقيم التي تشربها مصطفى سعيد ربما جينيا أو ربما هي الجذور التي لم تنفصل من روح مصطفى سعيد ولم تبترها حضارة الغرب ولكن حتما فعلت في تركيبته النبيلة الأفاعيل، وغيرت ذلك الإنسان فجرفته في غياهب بحرها ففقد توازنه، ومن ثم غرق في ذلك الخضم وضاع إنسانه وتحطم قلبه، فإن استيعابه لتلك الحضارة التي فتحت عليه أبواب من حياة لم يتمكن من السيطرة على مجرياتها وانفتاحها غير المحدود.

يقول في (صالح، 1966م، ص 43)"هاتان الفتاتان لم يقتلهما مصطفى سعيد ولكن قتلهما جرثوم مرض عضال أصابهما منذ ألف عام"تملكتني الحيرة والدهشة وأنا أمعن النظر في هذه الأبعاد التي تضفي على الرواية

مساحات تتوغل إلى مفهوم ينقلك مع تاريخ ممتد فقد كانت أوروبا ترزح تحت ظلام الجهل منذ ألف عام وربما أراد الطيب صالح أن يبعث من طيات الماضي حقائق متجذرة كامنة في المجتمع الغربي ، أمور لا ينكرها الغرب نفسه بأن تلك الجرثومة ظلت حية تلك العنصرية البغيضة والنظرة التي يحيط بها الوهم، بأن أصحاب البشرة السوداء هم لقمة سائغة سهلة، وكانت صدمتهما أي الفتاتان شيرا غرينود وايزابيلا سيمور حين اكتشفتا أن مصطفى سعيد له قلب عصي المنال،فلم يمنحهما انتمائهما للحضارة الغربية الحق بأن يستحوذا عليه فكان انتحارهما نتيجة هزيمة تضاربت مع وهم الشعور بحق الامتلاك.

يقول الكاتب (صالح، 1966م، ص 60) : " فمضيت أتسكع في شوارع البلد الضيقة المتعرجة ، تلامس وجهي نسمات الليل الباردة التي تهب من الشمال محملة بالندى ، محملة برائحة زهور الطلح وروث البهائم ، ورائحة الأرض التي رويت لتوها بالماء بعد ظمأ أيام،ورائحة قناديل الذرة في منتصف نضجها ، وعبير أشجار الليمون،كان البلد كعادته صامتا في تلك الساعة من الليل، الأمن طقطقة مكنة الماء على الشاطئ ونباح كلب من حين لآخر ، وصياح ديك منفرد أحس بالفجر قبل الأوان "

لوحة مسموعة فريدة تكاد تنطق بالمحتوى لم يرسمها بهذه المصداقية المتناهية في الإبداع إلا الطيب صالح فإنك تكاد ترى وتتلمس تفاصيل تلك القرية وتستنشق عبق ذلك الليل ونسيمه المشبع برائحة قرية سودانية نائمة تكاد تملأ رئتيك برائحة زهور الطلح وروث البهائم وطين الأرض، تلك الهيبة الشاعرية المتمكنة ،وذلك الجلال الأدبي المتفرد الذي فصل زوايا وخفايا حياة الريف البسيط الجميل جمال لايتمكن من تلمسه إلا أديب تشرب تلك المعاني واستنشق عبير الحياة فيها، ومنح فوق ذلك موهبة فريدة في جعل الكلمات تبوح وتعطى من غير زيادة أو نقصان تصف الليل في البلد من خلال الإحساس والاستماع فقط في تلك السويعات من الفجر.

إن تلك المنحنيات الشاعرية للطيب صالح التي يعبر من خلالها إلى قلب القارئ وفكره، فمنحته الرواية الشغف المتجدد والمتعة المستمرة التي لا تكاد تنقطع.

الحركة داخل النص في رواية موسم الهجرة إلى الشمال تسير في إيقاع متناغم متميز، كأنما يريد الطيب صالح أن يحتوى المساحات فلا يترك للسكون مكانا فكل التفاتة تزامنها الحركة المتباينة ليصبح النص غنيا مشتعلا بالحياة الحقيقية ، رشيقا بالتفاعل والانفعال الحياتي والطيب صالح لا يترك شاردة أو واردة إلا أشعل لنا بها روح النص ، فالحركة لديه ركن شيده بعبقرية الفنان وصنعه بهندسة الشعراء فلا يحصرها بين شخوص محددة بل يجذبك بشوق إلى آفاق الطبيعة الواسع التي يدهشك بجمالها حين يعبر خلال مفرداته الشيقة إلى عالمه الخاص ولكن يبقيك معه شاهد عيان تنظر بريشة وصفه الجميل.

الزمان والمكان في رواية موسم الهجرة إلى الشمال أضاف الى ملامحها وتفاصيلها واقعية سردية لا تجدها في معظم الروايات فالربط الذي خلقته موسم الهجرة إلى الشمال منحها شخصية لها نكهة خاصة فلم تترك الأحداث تمضى بدون دلالة على الزمان والمكان، فلامس ذلك قوة في البنية السردية وتماسك واضح في النص وابتعدت تماما عن الغلو المفرط في الخيال فجاءت بطعم الواقعية ممزوجة بشاعرية التعبير، وسلامة اللغة غاب شخص مصطفى سعيد من الحياة في منتصف الرواية ولكن الطيب صالح لم يتركه يفلت من تفاصيل عبقريته السردية فترك المجال مشرعا.

للأسئلة حول شبح هذا الرجل الغامض بل أضاف من لمساته الدرامية غموضا وإبهاما مشوقا وجعلنا نمضى معه في دهاليز ومنحنيات القصة حيث هناك بين الاحتمالات تقبع أسرار وخبايا عالم مصطفى سعيد العجيب الغريب

، حتى حسنه زوجة مصطفى سعيد كانت تحمل في داخلها حزنين الحزن الأول كان بسبب وفاة زوجها الذي فارقها بدون موعد وهى في ذروة أنوثتها وجمالها ، والثاني مصطفى سعيد الذي تزوجته من يكون؟ ولماذا لم تكن تعرف عنه شيئا بل وترك لها غرفة تحيط بها الأسرار، وعالم خفي مخبأ بين جدران تلك الغرفة المظلمة الغامضة التي لم يكن مسموح لها ولوجها حتى.

يقول الكاتب بصوت السارد يسأل حسنه زوجة مصطفى سعيد (صالح ، 1966م، ص113)

سألتها مرة أخرى : لماذا تظنين أنه كان يخفي شيئا؟"

"صوتها الآن ليس حزينا وليست فيه مناغاة ، ولكنه مشرشر الأطراف كورقة الذرة.

_أحيانا بالليل في النوم يقول كلاما....بالرطانة "

" ضاع العطر والصمت ، ولم يعد في الكون إلا نحيب امرأة ثكلت زوجا لا تعرفه".

حاولت أن ابحث عن قيمة الحب في حياة مصطفى سعيد كما رواها الطيب صالح، لم تكن هناك وشائج قربى ظل غريبا في وطنه، كانت العاطفة في حياته تراهات وكذب ،فهل كانت هجرته إلى الشمال هروبا من نفسه ؟ أم كان يهرب بما يحتوى عقله من أفكار؟ ظل يطاردها بدون حب بدون أشواق لم تكن ذاكرة مصطفى سعيد تحمل دفئا يدفعه إلى حنين إلى والدته التي تركها وحيدة ،ولا إلى مسقط رأسه الذي كان رقما ومحطة فقط ليس إلا فهل كان يبحث عن ذاته في تلك القرية أم كان حاله كالمستجير من الرمضاء بالنار، فقد اصطحب إلى تلك القرية البعيدة كل أشجانه المدفونة بين أضلاعه، وكل أحلامه المقتولة في حياته المعقدة الفاشلة رغم نجاحه الكبير أكاديمياً وعمليا ، هل كان يحب جين مورس التي قتلها ربما ان حبه لهذه المرأة التي عرفت كيف تصده وتحرمه، وبهذا الحرمان تمكنت أن تصل إلى قلبه المغلق ، وتخترق ذلك الجدار الفولاذي الذي حصنه ضد العاطفة لسنوات من عمره.

كما جاء على لسان زوجته حسنه (صالح ، 1966م، ص 113) " كان يردد في نومه كلمات ... مثل جينا جيني... لا أدرى" ود الريس بما يحمله من سمات لشخصية تمثل عصره وزمانه فهو عالق في صلف وعنجهية قديمة متجددة زمن تسيطر عليه الأنانية ،يدعمه إلى ذلك المنحى ثروته وماله، فقد استثمر الطيب صالح هذه الشخصية الاستثنائية والمهمة في الحبكة، فتركنا نغوص عميقا في مجتمع القرية البسيط المتزمت للعادات الاجتماعية التي تحكمه وتسيطر عليه ولا يمكن أن يستبدلها .

ود الريس يبدل النساء كما يبدل الحمير بهذا المفهوم كانت شخصية ود الريس الغارق حتى أذنيه في شغفه الاستثنائي وحبه للتملك، ولا مجال لرأى الطرف الثاني حيث كانت حسنه الضحية التي ضمها رغم انفها لقطيعه من النساء، فكانت ثورتها غير محسوبة وهنا جاءت الإضاءة رغم دمويتها وقسوة نهاية ود الريس على يد حسنة المغلوبة على أمرها من الطيب صالح، نهاية صارمة غير مألوفة مرعبة ومدهشة ومخيفة ضمن الصراع والغموض الذي بنته الرواية عبر دهاليزها الدرامية المتلاحقة وتفاصيلها المتجددة ، هكذا جاءت متماسكة في البنية السردية التي كانت تنقلنا إلى مستويات مختلفة في السرد وأبعاد نفسية متباينة .

حسنة كامرأة شابة مفعمة بالأنوثة لها كيانها الإنساني، أرادت أن تختار لنفسها طريقا وأراد المجتمع حولها أن يدفعها إلى ما يريد وما يراه مناسب،تصادمت رغبتها مع قرار المجتمع الصارم، فتولدت فيها روح التحدي التي ترجمتها بغضب لقتل وانتحار زلزل كيان القرية الأمن وغير مسار الأحداث إلى مستوا آخر.

1- إبراهيم اسحق إبراهيم– ورواية " وبال في كليمندو "

تميز إبراهيم إسحاق خلال روايته بسلاسة الأسلوب المتعمق في صور متعددة تترك القارئ يرى عبر خياله ذلك المتدفق، الغنى بألوان لا تترك لك فرصة الهروب من تواترها ودقة تفاصيلها فكانت لكتاباته خصوصيتها وقدرتها الفاعلة الجاذبة إلى حيز الاستمتاع، ببساطة حياة القرية يترك إبراهيم اسحق المجال لتسافر مع قلمه بين أروقة الخيال المانع في كافا المكان المتخيل الذي اصطنعه لمكان الرواية والدكا تلك العاصمة لأرض كافا والحقيقة، إنه رغم سفره في مكان خياليإلا إنه ظل يرسم من خلاله واقع حقيقي في غرب السودان مستصحبا الريف المخضر بكل مافيه وحياته المفعمة بما يمتلك الإنسان السوداني في الغرب من شمائل، يقول على لسان ود عجب وهو يحكى لكلتومة (إبراهيم،2014م، ص 11) من الرواية " جاء في لوارى الليل، حدثني ود أم عجب .. يقول لي أقفلت الراديو حوالي الثانية عشر والنصف بعد موجز الأنباء إذ يحضره الزبائن من أعالي الدكة جنوبها وشمالها ووسطها ،كما الزمان لعب دوره في روايته كانت كافا محورها يسقى تلك المساحات بلغته الشعرية الأنيقة مستلهما مفرداتها من جوهر البيئة الواقعية بكل تفاصيلها وزخمها يحكي بإبداع عن ذلك المكان ليظل الزمان غير غائب عبر كل ما يجول وما يستعمله من أدوات عاشتها تلك الأحداث ، وواكبها إبراهيم إسحاق ووثقها بكل صدق وتجرد يقول على لسان ود عجب (إبراهيم، 2014م، ص12) " فأوقدت مصباح الجازولين الكبير وعلقته على العمود المعارض فوق مدخل المقهى .. أفاكر نفسي مسترخيا بأنني قطعا جاهز لستين منهم"

لم تغيب عادات القرية وهى تبتهج بمقدم الضيف وكيف تزدحم موائد الكرم من كل بيت احتفاء بابن عم الفكي انقابو لم تخلو الرواية من الإشارات عبر الشخوص إلى المكان خلال الأحداث، التي واكبت الخطاب السردي للرواية في زوايا متعددة ، ومنها طرق صنع الطعام والمواد بمسمياتها المحلية في تلك الأماكن يقول على لسان كلتومة (إبراهيم، 2014م، ص 15) :

" وتنفست ، متلهفة أبدى سروري له بكلمات لا أدرى كنههن..طلع .. وفرغت إلى الخمارة أطمر عليها الدقيق والماء،وقرعة الروب أصب عليها الحليب ، والشرموط المدقوق أركمه على بعضه ، والويكة والبصل والبندورة والسمن لم تخلو الرواية من إظهار كثير من الشيم والأخلاق التي يتمتع بها أهل تلك المناطق من حسن خلق .

يقول في (إبراهيم، 2014م، ص 16) على لسان كلتومة :

" أسمعهما عند الباب .. صوته أجش كأن في حلقه بصلة .. نحن لا ننظر إلى الرجال لكننا نعرفهم من أصواتهم" وهى إشارة عميقة إلى العفاف والأدب الذي تتميز به المرأة السودانية وأيضاً يوضح ذكاءها ونباهتها.

الكرم ليس ظاهرة في تلك المناطق وهى أخلاق أشترك فيها جميع أهل السودان ، وهنا لوحة تستصحب أحداث الرواية، وما تحمله تلك المعاني من قيم متجذرة في المجتمع يقول على لسان عبد القادر في (إبراهيم، 2014م، ص 22):

" طرقات على باب الصفيح وسلام .. جاء الأمين بإفطاره فسلم وجلس .. الأمين لا يحتمل الصمت ..يقولون ، يقول الأمين إن العيوش انخفضت أسعارها في سوق كربو يوم الاثنين .. سأل الفكي ابن عمه عن الأثمان في جامع أبو عجورة ..طرقات على الباب وسلام ..جاء جليل بإفطاره"

منطقة كافا الخيالية كغيرها كما رسمها الراوي من المناطق الرعوية والزراعية، التي ظلت تعانى من التداخل القبلي الذي في كثير من الأحيان يخلق احتكاك لم يغيب ذلك الصراع في أروقة الرواية فكان محور الشد والجذب في ذلك المجتمع في تلك الفترة الزمنية .

وأحسب أن إبراهيم إسحاق أراد أن يقرب خيال القارئ إلى ذلك المجتمع من خلال استعمال اللهجة المحلية وسكب فيها كثير من المصطلحات التي تبقى الرواية أقرب إلى الواقعية غنية بتلك الدلالات والصور التي تشكل وجدان ذلك المكان.

الأسماء التي ارتبطت بأحداث الرواية ،وجدت مساحة أراد لها إبراهيم إسحاق أن تظل نقاط انطلاق فجعل الرواية على لسان كل من كلتومة ، عمر، عبد القادر، بشرى بالتناوب فجعل للرواية مذاق مختلف كأنما أراد بذلك أن يجعل منهم شهودا تجتمع فيهم الحقيقة ،ولكن ترك كل منهم ينظر إلي ذلك التفاعل من زاوية متباينة ورؤيا كل شخصية منها للحكاية وأحداثها بعين مختلفة عن الأخرى ، ولكن بذكاء جعل هذه الشخصيات تتكامل مع بعضها يقول دكتور محمد المهدي بشرى في كتابه الرواية السودانية في 60 عاما (بشرى، 2015م، ص 227)"على كل لابد لدارس تجربة إبراهيم اسحق من الانتباه لأمرين ، أولا المكان التخيلي الذي إبتدع إبراهيم اسحق وهو كافا وعاصمتها الدكة وانتماء الأبطال والشخصيات الجوهرية والثانوية لال كباشي ، وباختراعه لكافا والدكة يتأسى إبراهيم إسحق بأساتذته وعلى رأسهم بالطبع وليام فوكنر، الذي أخترع مقاطعة يوكناباتاوفا وعاصمتها (جفرسون) وأخترع جارسيا ماركيز ماكوندو وأخترع الطيب صالح ود حامد "ويقول دكتور محمد المهدي بشرى (بشرى، 2015م، ص 227)

يعرج الكاتب كثيرا على القيم الرفيعة، والتي غالبا ما تمتزج بأهل القرى والأرياف لتظهر الأصالة وطيب المعدن ويحدده المكان الذي كان محور الرواية في مناطق كثيرة في غرب السودان – وبين زمان ومكان الرواية تطل عبر بعض مشاهدها التي أراد أن يوثق واقعها التاريخي، وطريقة العيش وبساطته، ونوعية المواد التي تستعمل آنذاك في البناء وطريقة تشيد تلك البيوت وروح التضامن المتكامل النبيل الذي يقوم به كل من أفراد القرية والإحساس بالمسؤولية بدون استثناء والذي تظهره تلك الصور الدراماتيكية في دهاليز الرواية ومنحنياتها وهنا أيضا يركز على شخصية قمر، وقد أختار له أسم له مدلوله في الرواية وهو اختيار موفق والذي ظل اختفائه لغز محير حتى كشف عن ذلك السر الدفين في النهايات يقول في (إبراهيم، 2014م، ص 38).

" يشهد شيخ أم رحيمة إنه لم ير أجمل من تلك الوقفة والشبان والكبار يبنون قطية لأولاد سبيل ..كان قمر أطولهم وأكثرهم نشاطا ، يبتسم يرفع العيدان ، يضع القصب ويعقد لحاء السعف وحبال لحاء التبلدي الرقيقة يتحرك مثل ماكوك الماكينات الطقطاقة لا يفتر .. جبته الناصعة تقصر بنصف قدم تحت الركبة معتدلا وضاحا ، لو لم تعجبك القوة والعافية والصباحية في الرجال لأعجبتك فيه .. والبنات والنساء يحملن القصب والعيدان إلى مكان البناء ، ويجلبن الطعام والشراب، ولم يرفع قمر إليهن عينا "

وعلى لسان كلتومة السردية تمكن إبراهيم اسحق الولوج إلى تفاصيل حياة نسوية عبر قلمه يستمد من المواقف صور متجددة ولكنها تعبر بصدق عن تلك الحياة وهو يصف بدقة ساحة الرقص والغناء قمر ولد طلحة الذي أراد الزواج من عزة أخت ميارم ثم اختفى ولم يعرف له أثر ، وقد خلف غيابه جرحا في قلب عزة التي بلغ حبها له مبلغا لم تحتمله ، وظل غيابه لغزا محيرا وترك حزنا دخل في كل البيوت، ونزف ذلك الجرح في عرس أولاد حسبو ولم تغيب عن إبراهيم اسحق رسم لوحة مفعمة بالتفاعل بل ذكر مسميات الرقصات التي تميز بها أهل منطقة غرب السودان، وطريقة الغناء وزخم العرس وتفاصيل ما يدور فيه من جراري ومندعوس وحجوري....

يقول الراوي على لسان كلتومة (إبراهيم، 2014م، ص 46):"في عرس أولاد حسبو لبست ميارم ثوبا أزرق جديدا باهرا وتوسطت صف بنات الصفقة ، نائرات متحفزات كالأمهار ... والشبان اصطفوا في جببهم البيضاء

الراقشة بأصباغ النيلة "وحميت بالجميع ألاعيب الفرح .. بدأوا بالجراري الثقيل ، وانقلبوا إلى المندعوس الوقور ثم طلبوا نشاطا ووثبا فدخلوا في الحجوري .. وعندها أمسكت ميارم بزمام الغناء"

شديري

في بيتنا أمي

شديري أم ساق

في بيتنا أمي

مطيري

في بيتنا أمي

مطيري سقاي

في بيتنا أمي

طويري

في بيتنا أمي

طويري بكاي

في بيتنا أمي

قميري

في بيتنا أمي

قميري ضواي

في بيتنا أمي

ومن خلال مفردات الأغنية ترى الفرح ممتزجا بالحزن وبهطول الأمطار الغزيرة التي هى روح الحياة في تلك المناطق، رغم أن المطر في تلك اللحظات كان ممتزجا بدموع أهل كليمندو، وهم يعبرون عن الجرح الكامن وهى لوحة تمثل سمة من سمات ذلك المجتمع المتكامل والمتراحم.

وتلك الحميمية التي تربط بين كل فرد وبيته الغنى بالألفة والمودة ومحبة الأم وعلاقة المكان بالأشجار المتشامخة ، وكل مفردة تحكى علاقة لا تنفصم عراها عن الطبيعة الغنية بطيورها التي تبث في تغريدها وله العشاق وبين هذه وتلك يبقى القمر شاهدا لحضور متألق من المحبوب الذي توارى وأختفي بدون استئذان وهى إشارة حصيفة من الكاتبإلى قمر ود طلحة الحبيب الغائب ...

ويرسم إبراهيم إسحاق لوحة تنبض بالحياة والجمال (إبراهيم، 2014م، ص 48).

وانبهل الشبان على دائرة الغناء يقتلون أنفسهم قتلا ..بعضهم دموعه تنقطت قسرا عليه .. والفتيات أكثرهن اختنقن باللوعة جلسن وتغطين ينتحبن .. ميارم مدامعها تتحدر على صدرها تكسو الثوب الأزرق البهى بللا لا ينتهي ، ولا تنى تصفق وتستمطر الإشفاق بإيقاع ناشز حاد كالمدية يشق التورم المركوم ويدلق على الجراح براح الوجيعة الفجيعة والوجيعة ..دائرة الغناء كلها تتسربل بالأسى"

"يرسم إبراهيم اسحق عبر مساحات الرواية ذلك الزخم النابض بحياة متجسدة في تلك المناطق تتسع آفاقها بالطبيعة الزاخرة بالجمال وهو يعزف سيمفونية يتردد صداها عبر تلك الحلال يفكك طلاسمها عبر القلم ليترك

للخيال مجالا فارهاً لانديا ح المكان والزمان بين تلك المناطق يقول على لسان عبد القادر فى (إبراهيم، 2014م، ص91):

" من ساحة الاستسقاء يممنا شطر الآبار نرى أنقابو سعيتنا ، الشمس على رؤوسنا رابضة لاسعة رغم نسمة رياح الشمال تهفهف بأغصان الأشجار من حين لآخر ، فتغدو لوهلة ونحن نمر بجوارها كأنها مرواح راسخة تترجاك نفسك ألا تزوغ بها قط من مهبها العليل، فلما بلغنا رأس القوز الجنوبي المطل على الآبار توقفنا ، فكرنا أن نعطى أنقابو فرصة قد لا تتكرر معه" .

فقد ظل محور الرواية يدور حول غياب قمر ولد طلحة الذي تعلقت به عزة عشقا إلى حد الجنون تلك القصة التي كانت وبال على أهل كافا ومن فيها ، تعددت الصور وتعمقت وتلونت بكل الأطياف التي تكتنزها تلك المناطق، استنطق الراوي كل المسافات وتخللت القصة العبر ولم تخلو من الطرافة وروح المودة وسماحة الالفة وحسن التواصل، عرج إلى سنوات الاستعمار ونظر بعين ثاقبة إلى فلسفة الدولة ،وكيفية الإدارة وهو يسرد حديث ود المقدوم لانقابو (إبراهيم، 2014م، ص 105).

: " يا أنقابو ياولدى الرجال مثلنا لايعيشون بدون واجب .. وواجبنا كان دائما واحد من أثنين ..فإما أن نقرع الغائرين على البلد .. وإما أن نؤدب الفاسدين في البلد... نحن لا نستطيع أن نرقد ونسمن".

ثم يوضح في خطاب عميق المعنى ولهجة تنم عن الحكمة مستنيرا بما يحمله من وعى وثقافة مستندا إلى فكر ينظر إلى سيادة دولة القانون والعدالة ، وماينبغى أن يكون عليه الحال وهكذا يأتي حديث المقدوم لأنقابو على لسان عمر (إبراهيم، 2014م، ص 105).

:" ياأنقابو يا ولدى .. من يدلني على راحة أنام عليها والبلد كل جهة تنظر ، شر مطلوق وتهاون مفلوت؟هؤلاء الاشاوس يربطون الدروب على الناس بين القرى ... وأصناف المجرمين ينهبون مال الناس ويهدرون دماءهم ثم يحتمون بالقانون؟ ..متى كان ياأنقابو في حكم السلاطين أو حكم الإمام مسموحا بمثل هذا الانفراط ؟ إن لم يكن هنالك إطمئنان يعتمد فكيف تعمر البلاد ويستقر العباد؟ كيف تزدهر التجارات وتبنى البلدان وتتوسع المزروعات وتكثر السعية وتزيد الخيرات".

إبراهيم اسحق بجزالة أسلوبه يترك السارد الذي يأخذ دوره في فصول الرواية يتمدد ويستصحب القارئ إلى أكثر من لوحة وهو بين ذلك يمزج تلك الألوان المتباينة ليرسم واقع اجتماعي له سماته وخصوصيته رغم اختلافه في بعض الأمور فهو ليس مجتمعا فاضلا وهو بين ذلك يترك كل سارد من شخصياته الأربع كلتومة وعبد القادر والبشرى وعمر يستحوذ على دوره فهو يقول على لسان عمر (إبراهيم، 2014م، ص 117).

لم تفتنى متابعة الطريقة الغريبة التي يقود بها عبد القادر وود المقدوم أنقابو وإلى شباك أولاد ابيرق ، لكنني لم أتوقع أن يحصرنى عبد القادر نهاية في تلك البقعة ".

" فاجأنى وفاجأهما عبد القادر ..

ياأنقابو عمر دا كان في الوفد اللى راح على جديد سودقى يشوف قضية أولاد إبيرق هناك .. أسمع ليهو خلى يوريك شنو البقا..." تواترت تفاصيل الرواية على لسان عمر وهو يجتر تلك الأيام ..ضياع قمر وذهول عزة .. والحزن الذي أصاب ميارم وأبوها برشم بل كادت الحلة أن تدخل في حرابة ، ثم عودة أولاد ابيرق من السجن التحفظى والألم الذي أصاب القرية وخيم عليها حتى ابيرق أصبح ينتحب كالثكلى من الهم الذي أصابه بسبب أولاده حتى تكلم خليل عم أولاد ابيرق قائلا:

" الله يلعن الشيطان .. ورب الناس يرحلوا الثلاثة عند عمتهم في جديد سودقى ..وكن ما عملوا البقولوا دا .. إلا تشنقني الحكومة في أرواحهم الثلاثة ".

حين يمضى إبراهيم إسحاق إلى خواتيم روايته وبال في كيلمندو يستدرج النص بكل ذكاء، ولا يترك مساحة بين تلك الأحداث يستمد النهاية بكل ما يتكامل ويبنى نسيج الرواية في تناسق وحنكة ودراية من قصة كانت قاعدتها واسعة،فإذا بها هرما قائما متماسك البنيان و، هو في ذلك المسار لا يترك مشهدا يضيع سدا أو يمضى بدون أن يكون له معنى أو مدلول.

يقول في(إبراهيم، 2014م، ص 119) على لسان عمر:

" فما كان شهر من ذلك إلا أن غادر أولاد إبيرق تبن وتبين وخميس كافا، واستراحت من أخبارهم أذان الناس ..بهذا أخبرني شيخ أم رحيمة ..ونسيناهم ..وإن لم ننس عزة وقمر .. الجياد والمهور الأصائل يسمونها عزة وقمر .. الثيران البديعة والعجول الفارهة يسمونها عزة وقمر.. أغنيات ميارم تلك التي تتسلى بها العذارى في ظهور الحيشان ، نسمعهن ونحن نعبر بشوارع الدكة فنخجل نحن خشية أن يعلمن بسماعنا لأوجادهن وهن مستورات عنا".

أولاد ابيرق الثلاثة تلك العصابة الشرسة التي تمثل محور الشر والتي جلبت البلاء للقرية أخذتهم أقدارهم خارج القرية ثم نالوا جزائهم وهكذا تتسارع الرواية وتنطوي الأحداث بموتهم بالسم الزعاف، الواحد تلو الآخر ربما هي نهاية ذات ثمن باهظ تتماها مع تفاصيل ما اقترفوه من الظلم الذي ارتكبوه في حق عزة وقمر ، وسرقة البهائم وكانما هي دعوات الناس عليهم من أهل المنطقة الآمنة المطمئنة وجدت استجابة ، ورغم ما بدر منهم كان موتهم فاجعة أصابت كل بيت في كافا ، فاراد إبراهيم اسحق أن لايسقط تلك العاطفة النبيلة التي تذعن للأخلاق والقيم عند المدلهمات وتتكسر بسببها القلوب حين تواجه الأحزان وبصوت عمر يصف ذلك الحزن (إبراهيم، 2014م، ص 120):

" وقبل المغرب مات تبين فلم أتحمل يا أعمامي ، اتكأت على عمتهم حليمة وأجهشت في البكاء كأنهم الثلاثة أوليائي .. نعوذ بالله.. في ريعان الصبا .. وها أنتم شد الرب من أزركم ، جئتم لتقفوا على قبورهم .. أؤكد لكم ، ليس في جديد سودقى قلب لم يتقطر لهم ..لا ندرى يا أنقابو أنبكى ونولول أم نصبر".

لايميل إبراهيم اسحق إلى الإسهاب في شرح المواقف ولكنه يرغم بطريقته الخاصة السرد أن يجرى في جدول يشيده ومن ثم يترك الأحداث تنساب فيه وتحكى الملخص بدون أن يبالغ في التوضيح فحين أراد أن ينقل لنا كيف مات أولاد ابيرق قال على لسان عمر (إبراهيم، 2014م، ص 121):

مصطفي كان يحذرنا أنا وعبد القادر هذا وأبناء دورنا '' يا أولاد إياكم وإياكم وأنتم تسافرون بين جبل مرة ودار السافل وكردفان وما حولها .. إياكم من عجوز تتمسكن تجلس لكم على ركبتيها وتتبسم وتمد لكم ماء بارد..موتوا بعطشكم ولا تموتوا بشيء لا يعرف مضادة إلا رب العالمين''

لم يترك إبراهيم اسحق الرواية تتمحور حول شخصياته الأساسية ، ولكنه طالما حمل عنصر المفاجأة ليترك للدهشة مجالا تصول فيه وتستطع بكل قوة من خلال خلفية يحفها بالغموض أو يتركها تكبر عبر الرواية، حتى إذا ما جاء التوقيت المناسب أزاح عنها المستور وأستنطق لسان حالها وترك لها المجال لتعبر عن دورها وهاهو برغوت ولد جلة والسرد لعبد القادر (إبراهيم، 2014م، ص 128).

": تحدث برغوت في هدوء منكسا رأسه حينا ورافعا رأسه حينا يرى أثر وقع كلماته علينا، يده تهمز الفرش كاملة الانبساط ، ومرات تحفر فيه أصابعه ومرات يطرح كفه على ركبتيه يرفع ركبة وينزل بأخرى ، كلامه مرتب لا لجلجة فيه ولا عتاريس" .

وهنا تظهر القدرة على رصد لغة الجسد التي تظهر بمنتهى التوضيح مترجما حالة المتكلم النفسية وهو يستطرد وحركات جسمه توضح مدى اهتمامه فهي من الإمكانيات التعبيرية التي تميز بها إبراهيم اسحق ويظهر ذلك جليا في كثير من المواقف التي تظهر تلك الموهبة (إبراهيم، 2014م، ص 129)

حين يصف برغوت حالة العقاب " الذكر الأدهم طار أولاً .. قفز في الفراغ وطق جناحيه ثم دار في السماء السفلى ثلاث دورات " ثم يواصل القول " هاهو بما جمع من حرارة الضحى يدفئ بقوة ويترك نفسه لتيارات الهواء توجهه كيف يصعد يتسلق طبقة فطبقة ، وأنا اتدور معه حتى أعياني ، يرفعه الريح رويدا رويدا..هاهو يصف جناحيه مطلقا يبسطهما وينداح في دوائر تتسع وتتسع به في الأعالي"

برغوت الذي فقأ العقاب عينه حين ساقته أقداره أول يوم في العيد إلى بيت العقاب، رغم توسل زوجته فطومه بنت يونس أن لا يخرج للصيد يوم العيد ولكن الحافز كان يستحق المخاطرة فهناك عشر بقرات تنتظره أن أحضر فرخ العقاب للكاجاوى لودين لصنع دواء لعيون ود المقدوم، وفي الغابة خاض معركته التي فقد فيها عينه ولكنه ناضل من أجل البقاء حيا، ويصف إبراهيم اسحق تلك الملحمة المثيرة بدقة وبراعة بين برغوت وأنثى العقاب (إبراهيم، 2014م، ص 133):

وجاءت واثبة واثقة .. ذراعي اليسرى أطلقت الفرع المعصور فرد انتصاب العود المباغت قوة مخالبها المشرعة نحوى، ورميت وجهي على العشب أحفظ العين الباقية ،لكن الشوتال ذهب إليها . أصغيت ببقية ذهني إلى صوت الشرخ في جوجئها كأنه عصي يابسة .. بلهفة طرفت عيني فإذا بها تنتفض كالمحمومة تتراجع.. فتحت فمها وصرخت كالمخبولة ثم تكومت عند ساق الشجرة .. ترعش وتكابد حتى همدت.. ما كنت أظنني يا أهل أخرج من ذلك سالما ولم يخطر على ذهني حشرة ولا ثعبان ، فقط سقطت على ذراعي وغبت عن الدنيا ".

الإثارة ظلت تتواكب مع أحداث الرواية وتتداخل بين تفاصيلها وظلت هكذا حتى بلغت الحكاية نهاياتها وأراد إبراهيم اسحق أن يترك مساحة جديد من الإثارة حتى لا تنطفئ جذوة الإثارة في قلب القارئ .

الخلاصة والنتائج :

1- تميزت الروايات في هذا الطور بالثراء الفكري والوجداني.
2- استطاعت بعض روايات هذه الفترة أن تجد طريقها للعالمية بما حملته من إبداع .
3- الإثارة وتماسك البنية السردية كانت سمة مميزة لهذا الطور فمنحت الرواية أمكانية فنية نافست من خلالها فكانت بمثابة ميلاد حقيقي للرواية السودانية .
4- في هذا الطور يتناهى جمال الأسلوب في كتابة الرواية مع سلاسة القصة ووضوح الرؤيا.
5- اهتمام الكتاب بالبعد المكاني والزماني في هذه الروايات جعل المضمون أكثر واقعية.
6- السعي للتفرد والتميز من كتاب هذا الطور أضفى على الرواية قيمة أدبية فكانت إضافة حقيقية للإبداع السوداني.
7- اللغة الشاعرية في روايات هذا الطور جعلتها نابضة بالحياة ثرية بالمعاني متدفقة بالجمال.